تداعيات كورونا
على النظام الاجتماعي والطقس الديني

الباحث: كاظم لفته جبر(*)

الكلمات المفتاحيـــة : فايـروس كورونا، النظام الاجتماعي، الطقس الديني

الخلاصة

إن تعـرض المجتمـع الانســاني إلى خطر انتشــار فيـروس كورونــا ادى بتداعياته على الانشــطة الاجتماعيــة والممارســات الدينيــة، اذ ان العـدوى الوبائيــة حتمـت على البشـرية اتخاذ اجـراءات وقائية، كانـت مهمتها الحفاظ على النوع البشـري، وفرضت منظمة الصحة العلمية وضعاً اجتماعياً جديداً تمثل في ممارسة التباعـد الاجتماعــي بين الافـراد وقطع الصلة بين المجتمعات من حيـث قطع الطرق، وغلق المطــارات، وتوقـف السـفر، واصبـح الملاذ الامن للفرد العودة الى الوحدة الطبيعية الأولى، وهـذا ما ادى الى قلة الغذاء، وشـيوع البطالة، وتأخـر التعليم، لكن كان للدين وظيفة اجتماعية بوصفه الرابط الروحي بين الأفراد.

(*) جامعة واسط- كلية الاداب

المقدمة

تتناول هذه الدراسة البحث عن الأثار التي خلفها فايروس كورونا على نظام الحياة البشرية في قطاعات مختلفة، وبخاصة على اسس تكوين هذه الانظمة منهـا النظام الاجتماعي، والطقس الدينـي، لانهما يمثـلان رابطاً بيـن الجماعات والافـراد، فبعـد ان كان الاجتمـاع ضـرورة بشـرية كمـا أكدها ابـن خلدون، أصبـح يمثل ضـرراً، أصبح التباعد والالتزام بالإرشـادات الصحيـة سـبيلاً للحفاظ على النوع البشـري. و هذا التغير فـي ماهية العقد الاجتماعي نتيجة الوضـع الطارئ ادى الى أضـرار كبيرة على حياة الشعوب والانظمة العالمية.

اولا : وباء(كورونا)

وهو من الامراض التي تسببها الفايروسات والبكتريا والطفيليات، وان هذا الوباء هو مرض معدي يصيب الانسـان والحيوان معاً وتسـببه جرثومة، وهـذه الجرثومة تنتقل من الحيوانات والقـوارض والبراغيـث الموجـودة فيهـا الى الانسـان، ولم تكن هناك معرفة بهذا الفايروس قبل انتشاره في الصين عام ٢٠١٩. ثم بعد ذلك انتشـرت العدوى الى الدول الاخرى من خلال

مواطنيها المسافرين الى الصين[1]. كما ان لمرض كورونا فصائل متعددة من الفيروسات ظهرت سابقاً، والتي اصابت عدداً كبيراً من الافراد حول العالم، ومنها(عدوى الجهاز التنفسي) نزلات البرد الشائعة الإنفلونزا، او الأشد(متلازمة الشرق الأوسط التنفسية)، والحادة(السارس)، وتتمثل اعراضه ارتفاع درجة حرارة الجسم و ارهاق و ألم ونحول في الجسم والرأس وضيق في التنفس وفقدان الشهية و فقدان حاسة الشم و اسهال، وغيرها من الاعراض التي تكون نسبية بين الاشخاص المصابين تبعاً لمناعتهم. وتتم الاصابة بالمرض بطرائق مختلفة منها عن عبر التنفس مباشرة من الأنف او الفم، او عن طريق التلامس مع المصاب او الأشياء من حوله[2].

لذلك دعت الصحة العالمية الى الابتعاد عن الاشخاص المصابين وارتداء الكمامة اثناء وجودنا مع اشخاص آخرين، وفتح النوافذ للتهوية الجيدة في الغرف، حظر التجمعات، وتنظيف اليدين والعطاس في منديل،أو في ثنية المرفق...، فكان الحجر الصحي احد أهم السياسات الصحية التي اعتمدتها الانظمة الصحية لدول العالم للحفاظ على الوضع الصحي العام للمجتمعات، وهو ما اكدت عليه الصحة العالمية من حجر وعزل الافراد المصابين عن الافراد الاخرين السليمين في المستشفيات، والزام المنزل وعزله عن باقي الأسرة للشخص المصاب بأعراض خفيفة مثل السعال والصداع والحمى الخفيفة. وبهذا تعطلت الممارسات الاجتماعية واختفاء المظاهر الاجتماعية واصبحت العملية التواصلية بين افراد المجتمع الواحد،والمجتمعات الاخرى تواجه خطر الجائحة، وبذلك تعطلت المطارات والاسواق العالمية والاماكن الترفيهية، والمطاعم، والعادات والتقاليد، وبعض الطقوس الدينية والاحتفالات الدولية والرياضية، وبهذا اصبحنا امام ظاهرة اجتماعية جديدة تستوجب منا دراستها من خلال اهم نظامين هما الاجتماعي والديني[3].

ثانيا: ماهية النظام الاجتماعي :

يظهر هذا المفهوم عندما يكون هناك استقرار وغياب للفوضى، وكذلك هو علامة على المنهج الذي تعمل به مكونات المجتمع الواحد من خلال المؤسسات والعلاقات والسلوك التفاعل الاجتماعي، كذلك القيم والعادات والمعتقدات والاعراف والجانب الثقافي يجتمعان معا للحفاظ على الاستقرار الاجتماعي ونظامه. لهذا يُعرف(النظام الاجتماعي) : بأنه مجموع التراكيب والوظائف المنظمة لمجموع الناس ككل، فهو شبكة من أدوار العمل، أنظمة خاصة، ونظام الأدوار، و يستعمل لأنوع مختلفة من الجماعات مثل جماعات العمل او الجماعة المحلية . كما ان النظام الاجتماعي يرتبط بمفهوم الثقافة، فالنظام والسلوك في مجتمع ما، يعبر عن ثقافة ذلك المجتمع، علماً ان(الثقافة) : تعني النتاجات الملموسة وغير الملموسة للمجتمع وتشتمل على الطقوس والشعائر، الممارسات، اللغة، القيم، الأيديولوجيا، قواعد السلوك والمبادئ... فالثقافة الاجتماعية تؤثر في الفرد بشكل غير مباشر عبر نماذج ورموز، لبعض الناس تأثير رمزي صوري في البعض الآخر في الماضي والحاضر مثل اللغة والقيم و القانون والعرف، فالنظام الاجتماعي والثقافة أثر في الفرد لأن شخصيته تتحدد عبر عملية اجتماعية،أي أن شخصيته تتأثر بالثقافة والنظام الاجتماعي وشخصية الفرد لا تتجزأ في عملية التنشئة الاجتماعية، فيكمن أثرها في تطوير شخصية الفرد وسلوكه طوال حياته،والفرد يديم الثقافة عبر نقلها إلى الأجيال اللاحقة. فالسلوك ميزة لكل البشر بعضه عام، وآخر فطري،متأصل في الطبيعة الإنسانية[4].

وتتـراوح الاختلافـات الثقافيـة بيـن الأيديولوجيـا و العلم إلى حد ما، وبين الطقوس والأعـرف والعـادات المتماسـكة، وتعـرض كل ثقافـة أكثـر أو أقل من نمـاذج الاعتقادات المندمجة، قيم وممارسـات...، فـكل بناء نظام اجتماعي تابع الى خمسـة مؤسسـات اجتماعية كبيـرة كل منهـا تمثـل نظـام ثانـوي كبير في المجتمع :(نظام قرابة العائلة، النظام الاقتصادي و النظـام الديني و النظام العسـكري السياسـي والنظام التعليمي[٥].

ويشـير الاجتماعييـن ان هـذا المصطلـح يعنـي تنظيم امور المجتمـع عندما يكون هناك تعاقد اجتماعي بين افراده على عدد من القوانين والقواعـد و القيم والمعاييـر، ويمكن ان يظهر هذا التنظيـم في مجاميع مختلفـة منها(مجتمع الوطن الواحد، مجتمع المنظمات والمؤسسات، وكذلك المجتمع العالمي وغيرها من الجماعات الرسمية وغير الرسمية) وتكون هذه المجتمعات ذات طابع طبقي متفاوت بين القوي والضعيف لوضـع قواعد السـيطرة علـى الاخرين ضمن العلاقات الاجتماعية[٦].

ثالثا :ماهية الطقس الديني :

ان كلمـة الطقـس او الشـعائر تشـير الـى العمليـات والسـلوكيات التـي يتخذها مجموعة من الناس للقيام بنشـاط دينـي مقدس وقد نمت هـذه المفـردة داخـل المناسـبات والاحتفالات المسيحية[٧] وهي اصلها يوناني، ولا اصل لها فـي العربيـة ككلمة طقس بل تـورد ما يرادفها وهـي الشـعائر، ويثير القدماء ذلـك من خلال قولهـم أنه لا ضيـر من ايراد لفـظ طقس على الشـعيرة الدينيـة، وان كليهمـا يعنـي التنظيـم الروحـي والمـادي التـي يجـب مراعاتـه في القيـام فـي العبـادات[٨]. ويمكـن ان تتمثل هذه الطقـوس الشـعائرية بمجـالات مختلفـة منها(النشاط الاجتماعي، التنظيم السياسي، الاحداث الرياضيـة، التعامـلات الاقتصاديـة)، فيمكن دراسـة تلك الانشـطة المقدسة دراسـة تحليلية نفسـية مـن حيـث اثارهـا ودلالاتهـا الرمزية وتكرارها وترتيبهـا، وقواعدها التي تنظمها،و قدرتهـا وسـيطرتها على السـلوك الجمعي من جانـب اللاوعـي، كذلـك النظر الـى الملابس والاشـعار والاهازيـج التي يسـتعملوها لإثارة المشاعر العاطفية لدى الجماعة[٩].

ويوكـد عالـم النفـس وسـلوك الحيـوان النمسـاوي «كونـراد لورنز « ان الشـعائر او الطقوس سـلوكا حيواني فقـد وظيفته العدوانية الاولـى، واصبح يـؤدي وظيفـة تواصلية بين الجماعـات من خـلال تقوية التألف والتماسـك المجتمعـي وازالـة النزاعات.ويحـدد الجماعة بروح مسـتقلة عن الجماعات الاخرى، كما ان التكرار هو الذي يمنح الطقس مدلوله.

كمـا تحمل الصـلاة وعبادات اخـرى عند المسـلمين والعمل على اقامتهـا صفة التكرار، وتؤكـد الوظائـف اعـلاه مـن خـلال تنظيـم الصفـوف، والحركات التي يقومون بها بشـكل موحد، ولا تظهر هذه الشعائر وغيرها فاعليتها الا مـن خـلال ارتباطهـا بإحـداث تاريخيـة اسـطورية لتروي اصول الاشـياء والاحداث، وكيفية بروزها الى الوجود[١٠].

ويرى الفيلسـوف الفرنسـي(دوركايم) ان الدين في أساسـه عبـارة عن عقائـد وعبادات متماسـكة تنظم سـلوك مجموع النـاس بوحدة اجتماعيـة فـي الحياة،... وقد عرفـه(ينجر) : بأنه يمثل مشـاركة الافراد للمشـكلات الابرز والمهمة في الحياة من خلال بعض الممارسات

الطقوسية...، ويشير (مايير) في أحد مؤلفاته : بأن الدين مجموعة من القواعد والممارسات التي توجه سلوكنا مع انفسنا والناس والله[١١].

كما ان الظواهر الدينية تنتظم في فئتين رئيستين :

١_ المعتقدات : هي تمثيلات تعبر عن طبيعة الأشياء المقدسة،القوة والفضيلة التي تخلع عليها،تاريخها،وعلاقتها مع الأشياء ومع بعضها، ومع الأشياء الارضية.

٢_ الشعائر : مجموعة من القواعد التي على المتدين الالتزام بها عندما يتعامل مع المقدس.[١٢].

رابعا : الغاية الاجتماعية للتجمع البشري :

كان الاحساس الأول للإنسان هو احساسه بوجوده، وجل عنايته منصرفة الى المحافظة على ذاته، وكان انتاج الأرض يكفل له حاجاته وكانت غريزته تهديه الى كيفية الاستفادة من هذا الانتاج، فالجوع وغيرة من المثيرات والنوازع جعلته يجرب انساقاً مختلفة من الحياة [١٣]. وهذا ما جعله يتكيف مع الطبيعة وان يخترع انظمة جديدة مع كل متغير يمارس خطراً على الوجود الانساني.

ويرى ابن خلدون ان الاجتماع الانساني واجب متفقاً مع الفلاسفة المسلمين واليونانيين الذين اكدوا ذلك قبله بقولهم : الكائن الانساني ذات طبع مدني، كما ان هذه الواجب ناتج عن حاجتين :

١- حاجة الانسان الى الغذاء.

٢- حاجته الى الدفاع عن نفسه. وكلتاهما لا تتمان الا بالتعاون[١٤].

ان الانسان خلقه على هيئة صورة لا يمكن ان تدوم الا بالمشرب والمأكل، كما ان القدرة التي قدرت لكل انسان غير كافية لتلبية كافة حاجاته الغذائية، وذلك لو اخذنا مثلا على كيفية توفير قوت يوم من الحنطة فمثلا لا يمكن الا بالمرور بعدة مراحل منها الطحن والعجن وطبخه، وكل هذه المراحل تحتاج الى الآت، وصناعات مختلفة منها النجار الحداد والفاخوري، فيستحيل ان تفي قدرة الفرد الواحد على هذا كله، لذلك كان اجتماع الفرد مع الاخرين مما تتشابه بيئتهم وحاجاتهم ضرورة لابد منها للتكامل فيما بينهم ولتسهيل توفير حاجاتهم، وكذلك في مجموعهم قوة للدفاع عن حياتهم وحياة الجماعة ضد الاخطار الخارجية، كما ان الله جعل الحيوانات اكثر قوة وقدرة من الانسان[١٥]. ولكن في يتشابه الانسان والحيوان من حيث الظلم والعدوان، لذلك لابد من قانون او عقد يدفع بعضهم عن بعض ويقيم العدل[١٦].

ويُشير الفيلسوف الانكليزي(توماس هوبز) ان من اسباب النزاع والعداوة بين البشرية هو التنافس على الثروات أو الشرف، او السلطة...، كما إن الحاجة الغريزية في الحصول على الراحة والمتع المادية تجعل الافراد متقبلين اطاعة السلطة المشتركة التي أساسها التعاقد بينهم، ويمكن للمرء ان يتخلى عن هذه الحاجات الغريزية بسبب الخوف من الموت او الامراض والاصابات، او لغرض الحماية، كما ان هناك من لديهم الشجاعة والحاجة، وليسوا راضيين عن ظروفهم [١٧].

لكن الفيلسوف الفرنسي جاك روسو يرى ان الانتقال من الحالة الاولى الطبيعة الى المدنية ادى الى تغيير بعدد من المفاهيم والسلوكيات التي كان يعتمدها الانسان في الحالة البدائية، فالتجمع المدني جعل العدل محل الغريزة، ومحل الشهوة ان يكون رأي للإنسان، اخذ يعتمد على مبادئ أخرى غير نفسه، العمل بعقلة دون الانصياع لأهوائه، مع حرمانه الكثير مما كانت تعطي الطبيعة[١٨].

وهنالك لم تقدر هذه الحال الابتدائية على الدوام،لكان الهلاك نصيب الجنس البشري إذا لم يُغَيَّر طراز حياته. ولكن الواقع أن الناس إذا كانوا لا يستطيعون إنتاج قوى جديدة بل توحيد القوى وتوجيهها،وعادةً لا تكون لديهم وسائل للبقاء غير تأليفهم، بالتكتل مقدارا من القوى يمكنها أن تتغلب على المقاومة وتحريك هذه القوى بمحرك واحد وتسييرها متوافقة. وما كان هذا المقدار من القوى لينشأ إلا باتفاق أناس كثيرين. ولكن بما أن حرية كل إنسان وقوته كانتا أولى الوسائل لسلامته، فكيف يرهنهما من غير أن يضر نفسه ويهمل ما يجب العناية بشخصه فيرى روسو الحل لتلك المعضلة يكون من خلال إيجاد شكل لشراكة تجير وتحمي الجميع [١٩].

ويتفق الفيلسوفان جان لوك و هوبز على إن تأسيس نظام الدولة المدني الذي كان نتيجة الميثاق الاجتماعي،وان حال الطبيعة الاولى هي مساواة و حالة حرية كاملة . الا ان روسو لا يتفق مع هوبز على ان حالة الاولى لطبيعة الانسان حالة تسيب ،بل عرف الانسان فيها أنه ينبغي على أي شخص ألا يؤذي شخصاً آخر في حياته،أو صحته، أو حريته، او ممتلكاته[٢٠].

فالنظام الذي يتفق عليه افراد المجتمع يحتاج الى وسيلة ضبط ورقابه اجتماعية يعرفها ابن خلدون بانها الجهود والإجراءات التي يتخذها المجتمع أو جزء منه(كالدولة أو الأسرة أو القيم الدينية لجعل الأفراد يلتزمون بالنظام دون الاعتداء او الانحراف. ولهذا اكد ابن خلدون في المقدمة على اهمية الضبط الاجتماعي وأنه أساس لحياة الجماعة وأمنها واستمرارها، وبذلك قسم هذا الضبط الى انواع :

١- الضبط الخارجي : الذي يأتي عبر القانون.

٢- الضبط الداخلي : الذي يأتي عبر الدين.

٣- الضبط الاختياري : الذي يكون عبر الضمير.

٤- الضبط الوقائي : الذي يعتمد الوقاية والعلاج من الانحراف عن اساليب الجماعة[٢١] .

- فكل هذه الاجراءات تحتاج من الفرد الالتزام بها والتكيف مع هذا النظام الاجتماعي، ويمكن الاشارة الى ان مفهوم التكييف الاجتماعي قد ظهر في القرن التاسع عشر، ويشير الى اتباع الفرد للتقاليد والعادات والقواعد المتفق عليها من قبل المجتمع، من خلال تغير سلوك الفرد مع الاشخاص الاخرين الموجودين معه في نفس المجتمع، وان هذا الالتزام من قبل الفرد يجعله يحافظ على حياته وحياة ابناء مجتمعة، ويتصل مفهوم التكيف بالثقافة من خلال التثاقف الذي يشير الى التغير والتألف الذي يحصل من خلال الاتصال الثقافي من خلال انتشار القيم والقواعد والاحكام للمجتمع الى المجتمعات الاخرى مع وجود عرض للتبدل لكي تكون منسجمة مع ظروف المجتمعات...، كما ان هذا التكيف يختلف مع اختلاف العنصر الذي يتفاعل معه الإنسان سواء كان البيئة، او الثقافة او التنظيمي وهو تكيف الفرد لنفسه وسلوكياته للحفاظ على الحياة الاجتماعية...، لذلك تعد سمة التكيف من اهم السمات التي يتميز بها الانسان عن غيره من خلال القدرة على مواصلة العيش وتطويع قدراته وبيئته وفق تغيرات النظام الاجتماعي،...، ويكون التكيف عبر مجموعة قوانين وآليات لمواجهة الظروف الطارئة[٢٢].

- لذك يرى(دوركايم)ان الظواهر الاجتماعية مترابطة تاريخياً زمانياً في المكان الواحد أي تترابط بين الماضي والحاضر، ويبدو ذلك في ظهور موجات اجتماعية تنطوي على تكرار ظواهر أو نزعات اجتماعية كانت موجودة في فترة زمنية ماضية... كذلك التأثير المتبادل بين الدول المتجاورة واقتباس بعضها من البعض الأخر بسبب التجاور والتأثير المتبادل بينها[٢٣].يسمح لنا هذا التأكيد لدوركايم على الترابط والتكرار للظواهر الاجتماعية دراسة الوضع الصحي للبشرية بوصفة عائقا يعيد البشرية لحالتها الاولى.

خامساً_ اثار الأزمة الوبائية على المنظومة البشرية(التداعي والإجراءات)

لم يعد الوباء ظاهرة تحدي للمؤسسات الصحية العالمية بقدر ماهو اعادة لتشكيل نظام الحياة الاجتماعية وروابط العلاقات البشرية، اذ كان التوقف والتعطيل قد مس اساسيات الحياة الاجتماعية سواء كان توقف المدارس عن استقبال طلبتها، او اغلاق المطارات والقطارات والشركات والمؤسسات الاقتصادية الكبرى المسؤولة عن توفير الحاجات الغذائية، واغلاق المقاهي والمطاعم، وقيام الدولة بعزل الناس في منزلهم[٢٤].

لذلك يمكن عد الوباء ظاهرة اجتماعية مادامت تمس حياة البشر، وفي ضوء ذلك تسمح لنا الظواهر الاجتماعية دراسة الآثار التي خلفتها الازمات الصحية جراء انتشار الاوبئة والامراض المعدية التي تمارس خطراً وجودياً على النوع الانساني، وما يتصل بحياتهم ونشاطاتهم ذات الاهمية القصوى(الاجتماعية، والاقتصادية) وما يرتبط بتلك النشاطات من نشاطات دينية وسياسية واخلاقية. و مع انتشار جائحة كورونا حدثت تداعيات ادت بأثارها السلبية الخطيرة على النوع الانساني لذلك تتطلب من المجتمع الانساني اتخاذ الاجراءات والوسائل المتاحة لصد مد العدوان المجهول المتمثل بالوباء، وهذا يمكن من خلاله استعادة افكار الفلاسفة والمفكرين وكيف قدموا وجهات نظرهم لخدمة الانسانية وضمان استمراها وتقدمها ومواجهة المصاعب الطبيعة. الإنسان في حياته البدائية احتاج الاجتماع مع الاخرين لكي يضمن غذائه ويحمي حياته احتاج التعاون، اما في القرن الواحد والعشرين ومع تطور التكنولوجيا وابحار الانسان نحو الفضاء لإيجاد مسكن غير الارض، توجب على الانسان لمواجهة الجائحة التقوقع والعودة الى الاسرة او الى الملكية الخاصة من اجل حماية نفسه والاخرين من الوباء، وبهذا اختلفت مضامين العقد الاجتماعي بعد هذ الوباء الخطير، ولغرض التكيف مع هذا الوضع يحتاج الأفراد الالتزام بالإجراءات وتطويعها لضمان النظام الاجتماعي.

إذ يتمثل العنصر الاول الذي اتخذته قبل البلدان لمواجهة الوباء عدة اجراءات عديدة للحد من انتشار الفايروس منها، مثل اغلاق المطارات و المدارس والاماكن العامة والمطاعم والاسواق، وحظر الاحتفالات الدينية والاجتماعية واصبح العمل من المنزل أو فرضه وضعا عاديا لبقاء النظام وادامة الجهود لاستثمار الطاقات وتوفير الاحتياجات، وقد توصلت البيانات الاولية لمنظمة الصحة أن التباعد الاجتماعي اول سبل مواجهة الفايروس وسيكون له انماط اخرى منها العزل الاجتماعي. لذلك دعت منظمة الصحة العالمية العالم اجمع الى الانتقال الى الوضع الطبيعي الجديد القائم على مبدأ الصحة العامة في اتخاذ تدابير وقائية في أماكن العمل،التباعد الاجتماعي ومرافق غسل اليدين وآداب التنفس والعطاس والسعال، لغرض التقليل من مخاطر تفشي المرض في البيئات الشديدة التعرض.لا سيما دور المسنين ومرافق الصحة النفسية والأشخاص المقيمين في الأماكن المزدحمة.

كما شكل وباء كورونا صدمة كبيرة وزلزال لحياة الناس الاجتماعية، كما اختلف عن جميع التغيرات والتحولات التي تشهدها دول العالم، بسبب تداعياته الخطيرة على مجمل المؤسسات الاجتماعية واجزائها، كما تبين انه اكثر من كونه مؤامرة بايولوجية، بل تجلت آثاره في مختلف العلوم والفنون واصبحت رأي عام للبشرية جمعاء[٢٥]. وبذلك شكلت اثار الوباء الاجتماعية تهديدا غير محدد بالمكان والبلد، بل اصبح ينتقل مع الاشخاص وتحركاتهم مسببا اضرارا مادية وبشرية . ولعل اهم التحديات التي تعرضت لها الانظمة الانسانية هو التحدي الصحي والاجتماعي والثقافي والتعليمي

والاقتصـادي والغذائي، ولعـل الاخير من أهم التحديـات في عصـر كورونا بسـبب التفاوت السنوي في الانتاج الزراعي وحجم الاستهلاك، وتغيـر المنـاخ، وكذلـك النزاعـات[٢٦]. وبما ان الغـذاء مـن المتطلبات الاساسـية لحاجة الإنسـان للعيـش، مع ذلك فهي لاتزال مشـكلة العالـم الاولى، وتشـير الكثير من الدراسـات والتقاريـر البحثية والاسـتقصائية عام ٢٠٢٠ (لشبكة الامن الغذائي / fsin) يؤكد انه في عام ٢٠١٩ عانى ١٣٥مليون شـخص من صعوبة الحصول على الغذاء في ٥٥ بلد يشهد أزمات زراعية ،ومع اسـتمرار تفشـي الوباء في العام ١٩و ٢٠، تصاعدات تلك الارقام في العديد من هذه البلدان مع انعدام توفر الغذاء.

اما فيما يخص الوظائف فأشـارت منظمة العمـل الدولية إلى ان الازمـة الوبائية ادت الى ارتفاع معدلات البطالة في العالم من ١٣ مليون عام ١٩ من اصل١٨٨ كمسـتوى اساسي، الى ٢٥ مليون زيادة في عام ٢٠٢٠، وذلك بسـبب توقـف المصانـع والمعامل والمحـال التجارية عـن الانتاج. اما الجانب الصحي بسـبب زيادة الطلب على العلاج وكذلك وجود الاعداد الهائلة للمصابين وتعرض المؤسسات الصحية للضغط الكبير، كل ذلك كان اختباراً لتلك الانظمة لمدى التهـب والاسـتجابة ومعرفـة مـدى جاهزيتها للحالات الطارئة، وبما ان النظام الصحي يمثل خط الصد الاول لمواجهة الجائحة فإن العاملين فيه يكونون معرضون لأشـد المخاطر الوبائية منهـا المرض والعمل على انتشـاره اثناء تقديم المسـاعدة لعـلاج المصابيـن، بسـبب ضعف الخدمـات الصحيـة وقلـة القـدرات الوقائيـة، ونقـص المعدات، حيث اشـار المجلس الدولي للممرضـات(CN) الـى ان حوالـي ٩٠,٠٠٠ عاملا في المؤسسـة الصحية قد اصيبوا بالوباء بينما توفي حوالي ٢٦٠ ممرضة[٢٧]

كما ان الوضع الطبيعي الطارئ أثر بشكل مباشـر فـي التعليم من خلال اغـلاق المدارس والتواصـل عـن بُعـد مـن خـلال المنصـات الالكترونيـة، إذ اعلنت ٧٣ دولة الاغلاق التام ومنها المدارس، و٥٦ دولة علقت الدراسة في المدارس لجميع أنحاء البلاد ،,وفي ١٧ بلد أغلقت الهيئـات التعليمية على نطاق محدد. وان الاثار التي ترتبـت على إغلاق المـدارس والهيئات التعليمية على مسـتوى الـدول ادت الى تخلف أكثـر مـن ٤٢١ مليون فرد متعلـم على صعيد العالم عن الدراسـة، بينما تعرض ٥٧٧ للخطر بسـبب الإغـلاق الجزئي للمدارس. وبحسـب التقاريـر الصادرة عن(منظمة اليونسـكو) إن إغلاق الجامعات والمدارس والبرامج التعليمية بسبب جائحة كورونا جعل كل واحد من خمسة طلاب خارج المدرسـة على مستوى العالم[٢٨]. فالوضـع الاجتماعي الطبيعـي الطارئ أثر في جميع نواحي ونشـاطات وسـلوكيات الانسـان حتى على التجمعات الدينية والثقافية.

سادساً: البعد الاجتماعي للدين :

اذا كان الشرط الأساسي في وجود الظواهر الاجتماعيـة ينحصـر فـي الواقع فـي ظاهرة الاجتمـاع نفسـها... فلابـد مـن اختـلاف هذه الظواهـر تبعاً لاختلاف صور تشـكل ظاهرة الاجتمـاع[٢٩]. وتسـتمد الظواهـر الاجتماعية أصولهـا مـن المظاهـر الجمعيـة للمعتقـدات والممارسـات الجماعية. فالعمومية هي العلامة المميزة لهذه الظواهر، إذ ان الفكرة التي تخالج تفكيـر الفرد لا تكتسـب صفـة الاجتماعية لهذا السـبب، فهنـاك فـرق جوهري بيـن الظواهر الاجتماعيـة والظواهـر الفرديـة، فالظواهـر الاجتماعية تشـير الى أنمـاط معينة من التفكير والسـلوكيات وتكتسـب صفـة الاسـتمرار والدوام،وتتشـكل كأنماط متميزة عن الحوادث والمواقف الجزئية الفريدة التي أدت لها[٣٠].

يرى(جوبلـي الفييـلا) الديـن : بأنه علاقة تواصل بين الانسان والاشياء الخارقة او الغير

مرئية من اجل حمايته. كذلك يعرفان(ماك ايفر وشارل بيج) الدين بأنه علاقة لا تقوم بين انسان وانسان اخر فحسب ولكن تقوم بين الانسان وقوة ما اعلى منه... ويعرف(مايير) الدين بأنه مجوع الوصايا والعقائد التي توجه افعالنا مع البشر والله وذواتنا[٣١].

و يبين(دي توكفيل) ذلك ان البشر يشتركون في بعض المعتقدات الأساسية، ويتفقوا على بعض الأفكار الرئيسية التي بسبب وجودها بعيداً عن حدود الشك المنهجي، ولا تتعرض للجدل ومن ثم يمكنها وبلا صعوبة ان تكون قاعدة صلبة للمجتمعات الديموقراطية، ويرى كذلك بمجرد ان لا توجد سلطة دينية، ولا سلطة سياسية ايضا، بعد ذلك سيصاب الانسان بالفزع من هذا الاستقلال الذي لا حد له... فمن الضروري أن يكون لدى البشر معتقدات دوجمائية(مذهبية، عقائدية)، اي اراء يتلقونها بثقة دون أن يخضعوها للنقاش مثل هذه المعتقدات ضرورية جدا للحياة في المجتمع وادمتها[٣٢].

وبعد ان انتشر الوباء أثر في حركة الاديان الكبرى وطقوسها، وعلى الرغم من عدم تصديق الاديان بالوباء، لكن بعد مدة وجيزة تنازلت الاديان عن طقوسها وشعائرها للمحافظة على حياة المؤمنين، وجعلها فوق كل اعتبار، لذلك ألغي أساقفة الكنيسة من مختلف الجنسيات المؤتمرات واللقاءات، كما اعلنت(الفاتيكان) إغلاق الكناس والكاتدرائيات والساحات التي تقام فيها الاحتفالات الدينية منها أمام السياح، وكذلك تم اقفال الكنس والمعابد اليهودية ابوابها كما ألغى احد اكبر اعيادهم «بوريم « وكذلك توقف مهرجانات الهند الكبيرة مثل هولي وغيرها، وبالنسبة للديانة الإسلامية ففي السعودية تم اغلاق صحن الكعبة واعتمدت غيرها من الاجراءات الهادفة لوقف انتشار الوباء، الا اننا نجد بعض الطقوس والشعائر تتفاوت نسبة المشاركة فيها ولم تتوقف ممارستها بشكل تام رغم الوباء، حتى وان نالها بعضاً من التداعي الوبائي، ففي العراق نجد استمراراً للطقوس الشيعية العاشورائية والاربعينية، وهذا يجعلنا نستقرى ظاهرة مجتمعية تتمثل في تحدي الجائحة من خلال الدين، ما الذي يوفره لنا الدين في ظل انتشار الوباء والموت والخوف من انقراض النوع الانساني[٣٣].

يمكن الاجابة عن تلك الظاهرة من خلال استعارة رأي الفيلسوف(اوجست كونت) عن ذلك، فيرى اذا وجد العقل الانساني نفسه إذ يرى موزعاً بين ضرورتين تقهرانه على حد سواء، اي بين أن يلاحظ أولاً لكي يصل الى افكار ملائمة، وبين ان يتخيل أولاً نظرية ما، لكي يستعملها بطريقة فعالة في القيام بالملاحظات المتتابعة، فإنه يتخلص من هذا المأزق باستعمال طريقة التفكير اللاهوتي... لأن الفلسفة اللاهوتية وحدها هي التي كانت تستطيع في مبدأ الأمر أن توحي إلى الانسانية الواهية الجاهلة بالشجاعة والثقة الكافيتين لانتشالها من حالة الذهول البدائية التي كانت توجد فيها... فالفلسفة اللاهوتية ضرورية من الناحية الاجتماعية، حتى يستطيع المجتمع الإنساني أن ينمو وأن يستمر في البقاء، لأن هذا المجتمع لا يتطلب وجود مشاركة وجدانية عاطفية واتفاقاً في المصالح بين اعضائه فحسب، بل يقتضي أولاً وبصفة خاصة اتحاداً عاماً في بعض العقائد الخاصة [٣٤].

كما تتميز حياة البشر ومزاجهم العام بوجود الاحتفالات والمناسبات والطقوس والشعائر الدينية التي تدخل البهجة وتطيب النفوس وتزيل اوجاعهم وتساعدهم على ايجاد الوحدة والتعاون بين افراد المجتمع الواحد...، الا ان حدوث الازمات الطبيعة والكوارث تؤدي الى اثار نفسية تنعكس على افعال الانسان وتزيد التفكك بين افراد المجتمع، وتعيدهم الى حالة التوحش البدائية نتيجة دوافع غريزية للبقاء على قيد الحياة[٣٥].

لكـن الدين أدى دوراً مهما في الحفاظ على الجماعات وتكاتفها نفسيا،لأن الرابطة الدينية لا تتطلب حضوراً جماهيرياً، ويؤكد ذلك غوستاف لوبـون في كتابه «سـيكولوجيا الجماهير « اذ تعد الافكار والمشاعر التي تتشكل نتيجة العادات والتقاليـد او العقائـد او الايديولوجيات الركيزة الاولى لبناء وتشكيل الجماعات، اذ يرى ان هذه الروابط النفسـية لا توجـب الحضور الجماعي للأفراد في مكان واحد حضورا متزامنا، بل ان اكتسـاب صفة الجماعة يتم نفسـيا في وقت ما، وذلك بسبب التأثير الانفعالي للطقوس الرمزية او الاحتفالات القومية الكبيرة [٣٦].

اذاً للطقوس الدينية دور فعال ذو تأثير قوي على نفسـية الإنسـان، بحيث تغرس فيه أشياء تسـمح له بالموصلـة والتأقلم مـع بيئته وتكون لـه كوسـيلة للدفاع لما يتعرض لـه من مواقف ومشـاكل وتتمثـل هـذه الوظائـف فـي وظيفة الضبـط والتحكم،... ووظيفة دفاعية ضد القلق والخـوف اللذين يلازمـان الانسـان، ووظيفة علاجية فهي أداة تسـتعمل لمعالجة الأمراض النفسـية التـي يتعـرض لهـا الانسـان كالكأبة والانهيارات العصبية، واخرى تطهيرية اذ تقوم الطقوس بتغير أحاسيس وانفعالات الافراد من الأسوأ الى الأحسـن. ووظيفة الضبط والتنظيم الاجتماعيين من أجل استمرار واستقرار البناء الاجتماعـي . مـن خلال هـذه الوظائـف التي تقـوم بها الطقـوس الدينية خاصة لا يسـعنا إلا القول انها ضـرورة اجتماعية ودينية،بحيث لا يسـتطيع الانسـان العيش مـن دونها،فمن جهة تقـوم بتكريس العقيدة الدينيـة ومن جهة أخرى تعمـل علـى تكريس الربـاط الاجتماعـي[٣٧]. فالحاجـة الـى الدين هي في جانـب منها تعبير عن الحاجة الواقعية، ومن ناحية أخرى احتجاج على الخطر الواقعي[٣٨].

المصادر

(١) اكـرم محمـد نجيمان، جائحـة كورونـا وتداعيتها الاجتماعية، رسالة ماجسـتير، جامعة الانبار، كلية الآداب، ٢٠٢١، ص ١٣.

(٢) ناصر مجي الدين ملوحي، فيروس كورونا طاعون العصر، دار الغسق للنشر، سلمية، سوريا، ١٤٤١ه، ٢٠٢٠م.

(٣) منظمـة الصحـة العالمية، نصائح للجمهور بشـأن مرض فيروس كورنا كوفيد ١٩.

(٤) نبيـل عبـد الهـادي، تشـكيل السّـلوك الاجتماعي، اليازوري، ص١٣٨.

(٥) المصدر نفسه،ص١٣٧.

(٦) نيكي ليزا كول، دكتوراه، تعريف النظام الاجتماعي في علم الاجتماع، مقال، Eferrit

(٧) المعجـم الوسـيط، ج١،ط٢، دار أمـواج للطباعـة وانشر والتوزيع، بيروت لبنان،١٩٨٧، ص٥٦١.

(٨) ابن جرير الطبري، تفسـير الطبري، تح بشار عواد معـروف، مؤسسـة الرسـالة، ط١، ١٩٩٤، ج٥، ص٣١٤.

(٩) منصف المحواشـي، الطقوس وجبـروت الرموز، قـراءة فـي الوظائـف والـدلالات ضمـن مجتمـع متحـول، إنسـانيات،عدد ٤٩، جويليـة، سـبتمبر ٢٠١٠، ص١٨.

(١٠) المصدر نفسه، ص ٤٠.

(١١) عبـد الله الخريجي، علم الاجتماع الديني، سلسـلة دراسـات فـي المجمع العربـي السـعودي، الكاتب التاسـع،ط٢، ملتزم التوزيع رامتان _جدة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٠ه_١١٩٠م،ص ٣٣.

(١٢) دانيال هيرفيه ليجيه وجان بول ويلام، سوسيولوجيا الدين، ترجمة : درويش الحلوجي، المشروع القومي للترجمـة، المجلى الاعلـى للثقافـة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥، ص٢١٣.

(١٣) جون لوك، الحكومة المدنية وصلتها بنظرية العقد الاجتماعـي جـان جاك روسـو، ترجمـة : محمود شـوقي الكيال، مطابع شـركة الاعلانات الشـرقية، ص١١٤.

(١٤) يوحنـا قميـر، مقدمـة ابـن خلـدون، دراسـة _ مختارات، منشـورات المطبعة الكاثوليكية، بيروت

توزيع المكتبة الشرقية، ساحة النجمة، بيروت، ط٣,ص١٣.

(١٥) ابن خلدون، المقدمة،ج١، حقق نصوصه وخرج احاديثه وعلق عليه :عبدالله محمد الدرويش،دار يعرب، دمشق، ١٤٢٥ه_ ٢٠٠٤م،ص١٣٧.

(١٦) يوحنا قميز، مقدمة ابن خلدون، مصدر سابق، ص١٤.

(١٧) توماس هوبز، اللفياثان،الاصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة،ترجمة : ديانا حرب، وبشرى صعب، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث(كلمة) ودار الفارابي، ط١، ١٤٣٢ه _يناير ٢٠١١م، ص ١٠٦.

(١٨) جان جاك روسو، العقد الاجتماعي، ترجمة : عادل زعتر،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، جمهورية مصر العربية، القاهرة، ٢٠١٢، ص٥٠.

(١٩) المصدر نفسة، ص٣٧.

(٢٠)وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة : محمود سيد أحمد، تقديم ومراجعة : إمام عبد الفتاح إمام، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع،ط١، بيروت _لبنان، ٢٠١٠,ص ١٧٧.

(٢١) ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص٦٤.

(٢٢) يحيى حسين زامل، تحديات وباء كورونا في الدول العربية، القدرة والتكيف والاستجابة، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ط ١، برلين المانيا، ٢٠٢٠، ص١٩٦_١٩٧.

(٢٣) طالب عبد الكريم كاظم القريشي، الظاهرة الاجتماعية عند إميل دور كايم(تحليل اجتماعي)، مجلة دراسات إسلامية معاصرة، العدد السادس، السنة الثالثة، ٢٠١٢، ص٣٣٨.

(٢٤) يحيى حسين زامل، المصدر السابق، ص ١٩١.

(٢٥) احمد خضير، احمد ياسين، الاستعداد الاجتماعي لفايروس كورونا في العراقة، مركز البيان للدراسات والتخطيط، بغداد، ٢٠٢٠، ص٣.

(٢٦) عدنان ياسين مصطفى، اثار جائحة كوفيد ١٩، ورقة بحثية، مؤتمر وزارة التخطيط العراقية، اهداف التنمية المستدامة، ٢٠٢٠.

(٢٧) اعتمدت التقارير من منظمة التعاون الاسلامي،مركز الأبحاث الاحصائية والاقتصادية والاجتماعية والتدريب للدول الإسلامية، الاثار الاجتماعية والاقتصادية لجائحة كوفيد ١٩_.

(٢٨) اثر جائحة كورنا على التعليم ٢٠١٩، ويكيبيديا.

(٢٩) إميل دوركايم، قواعد المنهج في علم الإجتماع، ترجمة : محمود قاسم والسيد محمد بدوي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية،١٩٨٨، ص٢٢٨.

(٣٠) طالب عبد الكريم كاظم، الظاهرة الاجتماعية، مصدر سابق، ص ٣٣٥.

(٣١) دانيال هيرفيه ليجيه وجان بول ويلام، سوسيولوجيا الدين، مصدر سابق، ص٣٤.

(٣٢) المصدر نفسة ،ص٦٠.

(٣٣) تقرير قناة DW المانية عن أثر جائحة كورونا على الطقوس الدينية.

(٣٤)فاروق عبد المعطي، اوجست كونت، مؤسس علم الاجتماع الحديث، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت _ لبنان، ١٤١٤ه_ ١٩٩٣م،ص١٣٦.

(٣٥) اكرم محمد نجيمان، جائحة كورونا وتداعياتها الاجتماعية، مصدر سابق، ص٨٤.

(٣٦) غوستاف لوبون، سيكولوجيا الجماهير، ترجمة وتقديم : هاشم صالح، دار الساقي، ط١، بيروت، لبنان، ١٩٩١، ص ٥٤.

(٣٧) لغرس سوهيلة، قسم العلوم الأجتماعية، جامعة معسكر، مجلة فكر ومجتمع، العدد١٤، الجزائر،٢٠١٢، ص٩.

(٣٨) دانيال هيرفيه ليجيه وجان بول ويلام، سوسيولوجيا الدين، مصدر سابق، ص١٩.

Coronavirus Impacts
on Social Order and Religious Practices

Kadhim Lafta Jabre (Researcher)

Abstract

Exposing humanity to the risk of coronavirus epidemic has led to repercussions on social activities and religious practices. Because epidemic infections have forced humanity to take preventive action, Its mission was to preserve the humankind, and WHO imposed a new social situation realized by practicing social distancing between individuals, cutting the links between people and communities by blocking the roads, shutting down airports closed, and stopping the travel stopped; consequently, the safe haven for the individual is to return to the first natural lonesomeness. That led to lack of food, widespread unemployment, education was delayed; nevertheless, religion had a social function as the spiritual link between individuals.

Keywords: Corona Virus, Epidemic, Social Order, Religious Practice